هل دريتم بما جنيتم فظلم موت انتم وانتم الظالمونا

ومنها قولهُ

لم يمت عائش بآثار فضل هل يموت الجدّ كالخاملينا
هل امات الزمان سقراط قبلاً هل امات الزمان افلاطونا
انت حيّ آثارك الغرّ تبقى ابد الدهر ترشد العالمينا

فكتوريا

ملكة الانكليز وامبراطورة الهند

حياتها السياسية (تابع ما قبلهُ)

وصلنا في الكلام على تاريخ الملكة فكتوريا الى حياتها السياسيَّة وقلنا في الجزء الاخير من المجلد السابق ان تاريخها السياسي هو تاريخ وزرائها الذين ولّتهم الاحكام من حين تربعت في سرير الملك الى الآن . وذكرنا سيرة لورد ملبرن والسر روبرت بيل واللورد جون رسل ولورد بامرستون . وها نحن ذاكرون سيرة باقي الوزراء

لورد ابردين

ولد سنة ١٧٧٤ ودرس في مدرسة كمبردج الجامعة شأن غيرهِ من اولاد الاشراف في بلاد الانكليز فانهم يدرسون في اكبر المدارس ويأخذون العلم عن اكبر العلماء وقد يشاركون فيهِ حتى يبلغوا منزلة رفيعة منهُ فان لورد ابردين هذا نال رتبة معلم في الفنون في العشرين من عمرهِ وهي لا تعطى الاَّ لمن قرن العلم بالعمل . ثم دخل مجلس الاشراف وجلس مع حزب المحافظين ثم جعل سفيرًا في بلاد النمسا سنة ١٨١٣ فاتمَّ عقد المحالفة بين انكلترا والنمسا وانتظم في وزارة دوق ولنتون وزيرًا للخارجية وفي وزارة السر روبرت بيل واستعفى معهُ سنة ١٨٤٦ .

وتألفت وزارة ممتزجة من المحافظين والاحرار سنة ١٨٥٢ فقبل ان يكون رئيساً لها اجابة لطلب الملكة فان احوال الحكومة كانت في اضطراب شديد واشتد الخلاف بين حزبيها فرأت الملكة ان تصلح بينهما بتأليف وزارة رجالها منهم كليهما فتألفت تلك الوزارة وكان ذلك غاية ما تمنته الملكة كما صرحت مراراً

ومرّت الايام ووزارة لورد ابردين مفلحة في سياستها ناجحة في اعمالها الى ان نشبت حرب القرم وألفت اوزارها فلم يثوَ عَلَى احتمال شدائدها وهياج الامة الانكليزية بسبب ما اصاب ابناءها واستعفى اللورد جون رسل احد اعضاء الوزارة فاضعف ذلك عزائم اللورد ابردين فسقطت وزارته وخلفه لورد بامرستون كما تقدم في الجزء الماضي وذلك سنة ١٨٥٥ . وتوفي لورد ابردين في مدينة لندن سنة ١٨٦٠

لورد بيكنسفيلد

هو بنيامين بن اسحق دزرائيلي من يهود اسبانيا الذين هجروها في اواخر القرن الخامس عشر فراراً من ديوان التفتيش لجأت عائلته الى البندقية فاثرت فيها ثم هاجرت الى انكلترا وولد فيها بمدينة لندن في اواخر سنة ١٨٠٤ وختن حسب شريعة اليهود ثم نُصِّر ودرس علم الحقوق ليتعاطى المحاماة والّف كثيراً من الروايات فاشتهر بها بين رجال الادب ومال الى السياسة فدخل البارلمنت سنة ١٨٣٧ بعد عناء شديد ولما خطب اول خطبة فيه قابله الاعضاء بالضحك والهزء حتى اذا فرغ صبره قال لهم " لقد شرعتُ في امور كثيرة مراراً مختلفة وكنت في الغالب انجح فيها اخيراً تم اني اصمت الآن لكنه سيأتي وقت تصغون فيه اليّ " وفي اقل من تسع سنوات جاء ذلك الوقت فاصغت البلاد كلها الى اقواله وقاد حزب المحافظين في مجلس النواب ضد وزارة الاحرار سبع

سنوات ثم جعل رئيساً للوزراء سنة ١٨٦٨ واستعفى في آخر تلك السنة واعطته الملكة لقب لورد بكنسفيلد فاعتذر عن قبوله لكي لا يحرم من الجلوس في مجلس النواب ومناضلة الوزارة ولكنه ابقاه لزوجته واخذ رئاسة الوزراء ثانية سنة ١٨٧٤ وبقي فيها الى سنة ١٨٨٠ وهو الذي ابتاع اسهم ترعة السويس من مصر فجعل لانكلترا المصلحة الكبرى في هذه الترعة والشأن الاعظم في القطر المصري . وهو الذي اعطى الملكة فكتوريا لقب امبراطورة الهند ونودي بها بلقب قيصر الهند في دلهي عاصمة ملوك المغول في غرة سنة ١٨٧٧ ونودي كذلك في بمباي وكلكتا ومدراس ولم تكن الملكة تسمع عنه في اول امره ما يسرها لانه كان شديد الوطأة على مناظريه في مجلس النواب وكان اولئك المناظرون من المقربين اليها ولكن لما رأت حسن سياسته نسيت السيآت ونظرت الى الحسنات على جاري عادتها ولا سيما لانه اظهر ولاءه لها على اسلوب يؤثر في النفوس وفي اوقات يصل تأثير المؤاساة فيها الى اعماق الفؤاد ذلك انه لما توفيت دوقة كنت ام الملكة تكلم في مجلس النواب في صدد كتاب التعزية الذي اراد المجلس ان يبعث به اليها فقال "ان الفاجعة الشديدة التي لحقت بها الملكة ليس لها عندنا الا سبيل واحد للعزاء وهو ذكر امانتنا للفقيدة وحبنا لها وان الملكة لحرية بان ترى منا هذا الذكر المزي المسلي. ولقد يقال ان حزن الناس يقل بارتفاع مناصبهم ولكن ذلك لا يصدق على هذه الحال لان الملكة التي تملك علينا اختارت من نفسها ان يكون بيتها مثل بيوت شعبها مع ما هي محفوفة به من مظاهر الملك والعظمة"

ولما نشبت الحرب الاخيرة بين الدولة العلية وروسيا اخذ بناصر الدولة العلية وبعث الاسطول الانكليزي الى الدردنيل لصد الروس واستدعى الجنود الهندية الى مالطة وطلب من مجلس النواب ستة ملايين من الجنيهات تأهباً للحرب

وحضر مؤتمر برلين مع اللورد بلمبري وعقد معاهدة برلين المشهورة واحتل قبرص. ثم نشبت حرب الافغان وحرب الزولو ولا يسعنا المقام لوصف ما حدث في هاتين الحربين من الويلات وانما نكتفي بالاشارة الى حرب الزولو وقتل البرنس امبريال ولي عهد نبوليون الثالث لما ظهر فيهِ من عواطف الملكة. فان هذا البرنس كان يدرس في المدرسة الحربية الانكليزية بوولج فلما نشبت حرب الزولو ذهب اليها متطوعاً وأشار رؤساؤهُ ان لا يدعوهُ يقتحم المخاطر. وذهب يوماً للاستطلاع مع قليل من الجنود وبينما كانوا جالسين يطعمون خيلهم ويرسمون شكل البلاد فاجأهم الزولو وقتلوهُ. وكان ذلك في غرة يونيو سنة ١٨٧٩ ولما بلغ نعيهُ الملكة انقضَّ عليها كالصاعقة وقد كتبت في هذا الصدد تقول "قرع برون الباب ودخل فسألتهُ ما الخبر قال شرٌّ قلت وما هو قال قُتل البرنس الفرنسوي فلم افهم مرادهُ وكررت السؤال عليهِ وحينئذٍ دخلت بيترس (ابنتها) وبيدها تلغراف وهي تقول "واحسرتاهُ فقد قتل البرنس امبريال" واني اكتب هذه الكلمات الآن واعضائي ترتعش والحال مسكتْ رأسي بيديَّ وقلت كلاَّ كلاَّ ذلك ضرب من الخيال واعولتُ في البكاء وكانت بيترس تبكي بجانبي والتلغراف بيدها فاعطتني اياهُ

واحسرتاهُ عليكَ والهفتاهُ عليكِ ايتها الامبراطورة العزيزة. ولدكِ الوحيد الوحيد باللصيبة. ضاع رشدي ولم اعد افكر بامر آخر. وامصيبتاه. كلما فكرت في هذا المصاب زادني هماً وغماً وقد شملتنا الدهشة كلنا فلم ننم حتى الفجر"

ويقال ان الحكومة الانكليزية اخطأت في قبول هذا البرنس بين جنودها ولكن اذا وقع القدر بطل الحذر

واشتدت المجاعة في بلاد الهند وساءت احوال التجارة فعلت شكوى الناس وتقموا على الوزارة حتى اذا جرت الانتخابات العمومية سنة ١٨٨٠ كانت الاكثرية

من حزب الاحرار فاستعفى اللورد بكنسفيلد وجلس في مجلس الاعيان وتوفي في السنة التالية في التاسع عشر من ابريل فحزنت عليهِ الملكة حزناً شديداً وسار اولادها الثلاثة برنس اوف ويلس ودوق كنوت والبرنس ليوبولد في جنازتهِ ووضعوا على نعشهِ اكليلين من الازهار بعثت بهما الملكة اولهما من زهر البرمروز وكان مولعاً بهِ وكتبت عليهِ "جزية المحبة من الملكة فكتوريا" ثم زارت قبرهُ هي وابنتها البرنس بيترس ووضعتا عليهِ اكليلاً آخر. واشتركت البلاد الانكليزيَّة كلها في الحزن على هذا الوزير العظيم. وحتَّى الآن يغطَّى تمثالهُ بازهار البرمروز في التاسع عشر من ابريل تذكاراً لوفاتهِ ويلبس الناس ازهار هذا النبات يومئذٍ تذكاراً لذلك وألفت جمعيَّة سياسيَّة سميت باسم هذا الزهر تذكاراً لهُ ايضاً

غلادستون وسلسبري

كتبنا ترجمة هذين الوزيرين في المجلد التاسع عشر من المقتطف ونشرنا فيها صورتيهما ايضاً فلا داعي لاعادتها الآن

لورد روزبري

هو من بيت ابكتلندي قديم عريق في المجد ولد بمدينة لندن سنة ١٨٤٧ وابوهُ لورد دلمني وامهُ ابنة ارل ستنهوب الرابع واخت ارل ستنهوب الخامس المعروف بلورد ماهون. توفي ابوهُ سنة ١٨٥١ فتزوجت امهُ بدوق كانلند وهي المعروفة الآن بدوقة كنلند المشهورة بمؤلفاتها التاريخيَّة

درس في مدرسة اكسفرد الجامعة حيث درس غلادستون واشتهر بالاعتدال من حداثتهِ. وحسب بين رجال السياسة قبل ان يناهز الرابعة والعشرين من عمرهِ حتَّى انهُ لما خطب خطبتهُ الاولى اعترف لهُ زعيم الحزب المضاد لحزبهِ بالمقدرة وقوة المعارضة

وجعل وزيراً للخارجية في وزارة غلادستون التي تألفت سنة ١٨٨٥ ولم تعش الاَّ بضعة اشهر ثم عاد الى وزارة الخارجية سنة ١٨٩٢ فاقتفى فيها خطوات سلفهِ لورد سلسبري كما يعلم سكان هذا القطر وخلف غلادستون في رئاسة الوزارة كما تقدَّم وهو في السابعة والاربعين من عمرهِ وبقي فيها الى ان انحلت وزارتهُ بسبب مسألة طفيفة وأُعيدت الانتخابات ففاز المحافظون على الاحرار وصارت الوزارة منهم الى الآن

وتزوج لورد روزبري بابنة البارون ماير ده رشيلد وهي وريثة ابيها الوحيدة وتوفيت سنة ١٨٩٠ بعد ان اقامت معهُ اثنتي عشرة سنة وكتب تاريخ الوزير بت الشهير وأتمهُ سنة ١٨٩١ بعد وفاة زوجتهِ فقال في مقدمتهِ "الَّفت هذا الكتاب الصغير والعوائق كثيرة وما غرضي منهُ سوى تقرير الحقائق. ولقد كان غاية مناي ان اتمَّهُ واهديهُ الى زوجتي . اما الآن فاني اجعلهُ تذكاراً لها" . وقد أظهر في هذا الكتاب تضلعهُ من السياسة كما اظهر امتلاكهُ ناصية الانشاء

هذه قذلكة من تاريخ وزراء الملكة ومن تاريخ حياتها السياسية

قال المستر ستد صاحب مجلة المجلات انهُ زار بلاد الروس سنة ١٨٨٨ وقابل القيصر سكندر الثالث وكلهُ في بعض المهام ثم قصَّ ما قالهُ لهُ القيصر على السر روبرت مورير سفير انكلترا في بطرسبرج فكتب السفير ذلك في كتاب وتلاهُ على المستر ستد فسألهُ المستر ستد مستغرباً هل تقصد ان ترسل هذا الكتاب كبلاغ الى الحكومة فقال "معاذ الله بل انما كتبتهُ لابعث بهِ الى الملكة فهو كتابي لها خاصَّة لا يطبع في الكتاب الازرق ولا يطَّلع عليهِ الجمهور ونحن نكتب اليها دائماً بكل المهام السياسية"

وقد شبَّه المستر ستد الملكة بمحرِّر جريدة يكتب فيها ما يشاء وينتخ ما يشاء

مما يكتبهُ فيها المساعدون لهُ والجريدة هي ادارة شؤون السلطنة . ووزراؤه ورجال السياسة فيها المحررون والملكة رئيسة التحرير تكتب ما تشاء وتنقح ما تشاء ولكنَّ مشيئتها منطبقة على مشيئة شعبها ومصلحتهِ لان حكومتها دستوريةٌ كما يتضح مما تقدَّم في الفصول السابقة ومما يأتي في الفقرات التالية

لما استعفت وزارة لورد ملبرن الاولى سنة ١٨٣٩ على ما تقدَّم غلب الحزن على الملكة لحداثة سنها حينئذٍ فانها كانت في التاسعة عشرة حتى اذا جاءها اللورد جون رسل ليخبرها باستعفاء الوزارة قابلتهُ وعيناها مغرورقتان بالدموع حزناً على وزرائها وخوفاً من السر روبرت بيل الذي كان لابدَّ لها من وضع مقاليد الوزارة في يدهِ لانها حسبتهُ رجلاً صعب المراس ولانها كانت حينئذٍ مشيعة لحزب الاحرار مثل زعيمهِ لورد ملبرن. فاثبتت اهتمامها الشديد بسياسة مملكتها وهي فتاة في التاسعة عشرة من العمر

ولما اقترنت بالبرنس البرت اشركتهُ في مهام المملكة فقام باعبائها احسن قيام مدة حياتهِ معها. قال الكونت فتزوم وزير سكسونيا "ان البرنس البرت زوج الملكة كان الحاكم المطلق في بيتهِ والعنصر الفعَّال في السلطنة الانكليزية المنتشرة في اقطار المسكونة. ولقد كان يهتم بمصالح كل تلك الملايين الخاضعين لها ولو كان الامر عظيماً عليهِ لحداثة سنهِ. وفي يدهِ كانت مقاليد المملكة مدة عشرين سنة حتى لم تخرج رسالة من وزارة الخارجية الاَّ بعد اطِّلاعهِ عليها وامعانهِ النظر فيها وتنقيحها اذا رآها محتاجةً الى التنقيح ولم يأتِ تقرير مهم من سفير من السفراء الاَّ اطلَّع عليهِ وكان كلٌّ من وزير المستعمرات ووزير الحربية ووزير الداخلية ووزير البحرية يقدم لهُ كل يوم رزمة من الاوراق لا تقل عن اوراق وزارة الخارجية. فيقرأ كل ورقة منها ويعلق عليها ما يبدو لهُ من الآراء . وكان

فوق ذلك يكاتب الملوك والسفراء وحكّام الولايات في الهند وكندا ولم يجرِ شيء في بلاط الملكة الّا بامرهِ

وقد يكون في هذا الكلام شيء من المبالغة ولكن لا مبالغة في ان الملكة قبضت على ازمّة المملكة بيديها قبل اقترانها واشركت زوجها معها مدة حياتهِ . ثم استقلّت بالملك بعد وفاتهِ . وهي التي فضّت كثيرًا من المشاكل الداخليّة والخارجيّة . ولولاها لبلغ بسمارك مأربهُ من انكلترا بمعاضدة روسيا ولاشتركت انكلترا في الحرب الاميركيّة الاهليّة سنة ١٨٦١ وفي الحرب الاوربيّة سنة ١٨٦٤ فعادت منها بالخزي والخسران . ولولاها ما بلغ مجد انكلترا ما بلغهُ في مشارق الارض ومغاربها . وكانت في كل ذلك محافظة على نظام البلاد الدستوري وجارية بحسب ارادة شعبها

(٥) اولاد الملكة

رزقت الملكة فكتوريا خمس بنات واربع بنين على هذا الترتيب

(١) البرنسس فكتوريا امبراطورة الالمان ولدت سنة ١٨٤٠ واقترنت سنة ١٨٥٨ بفردرك وليم الذي صار امبراطورًا لالمانيا وهو ابو الامبراطور الحالي. فان ذلك البرنس زار بلاد الانكليز ورأى البرنسس فكتوريا وطلب الاقتران بها فاجابتهُ الى ما طلب وعُرض الامر على مجلس النواب فاقرّ عليهِ اعضاؤهُ كلهم بلا خلاف واقرّوا ايضًا على اعطائها اربعين الف جنيه صداقًا وثمانية آلاف جنيه كل سنة مدى الحياة . واحتفل بزيجتها في الكنيسة الملكيّة بقصر سنت جمس في الخامس والعشرين من شهر يناير سنة ١٨٥٨ وتوفي زوجها الامبراطور فردرك الاول في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٨ فخلفهُ ابنها وطلم الثاني الامبراطور الحالي

(٢) البرنس البرت ادورد برنس اوف ويلس . ولد في التاسع من نوفمبر

(ت ٢) سنة ١٨٤١ واقترن بالپرنسس الكسندرا ابنة كرستيان التاسع ملك الدنمارك في العاشر من شهر مارس (آذار) سنة ١٨٦٣ فرزق منها ابنين البرنس نكتور ولد سنة ١٨٦٤ وتوفي سنة ١٨٩٢ وجورج دوق يورك ولد سنة ١٨٦٥ . وثلاث

پرنس اوف ويلس

بنات لويزا زوجة دوق فيف وموود زوجة البرنس كارل الدنماركي وفكتوريا ولي حياة برنس اوف ويلس وحياة زوجته امور كثيرة لا يليق الاغضاء عن ذكرها ولو التزمنا الاختصار التام في هذه الفصول

ولدت البرنسس الكسندرا زوجة برنس اوف ويلس سنة ١٨٤٤ ولم يكن

ابوها ملكاً ولا كان قريباً من سرير الملك بل لم يكن نسبهُ متصلاً بنسب ملك الدنمارك الاَّ في اسلافهما في القرن الخامس عشر . ثم ترجَّح ان الملك سيموت بلا عقب فيخلفهُ ابوها اذ لا أقرب منهُ اليهِ ويقال انهُ لم يكن على شيء من الثروة في ذلك الحين ولكن لما ظهر انهُ ولي العهد حسنت حالهُ حتى اذا صارت البرنسس الكسندرا في السادسة عشرة من عمرها كان قادراً على السياحة معها في مدائن اوربا. واتفق ان برنس اوف ويلس لقيها اكثر من مرَّةٍ في سياحتهِ فوقعت عندهُ موقعاً عظيماً وخطبها الى ابيها سنة ١٨٦٢ فسرَّ اهالي انكلترا واهالي الدنمارك بهذه الخطبة لا سيما وان البرنس خطبها حبًّا بها لا لغرض سياسي كما يحدث كثيراً في زيجة الملوك . ولما حان الوقت المعين للزيجة جاء بها ابوها وامها واخوتها الى البلاد الانكليزيَّة فبلغوها في السابع من شهر مارس سنة ١٨٦٣ فرحبت بها البلاد اعظم ترحيب واحتفل بالزيجة في العاشر من مارس في كنيسة قصر وندزور ولم تحضر الملكة الاحتفال رسميًّا لحدادها على زوجها بل اقامت وراء مشبَّك ترَى منهُ الاحتفال ولا تُرَى .

ومن ذلك الحين الى الآن امتزجت حياة هذه الاميرة بحياة زوجها واولادها فلايراها الانكليز الاَّ معهم او مهتمة باعمال البر . وقد احبوها حبًّا صادقاً لجمالها ودعتها وفضائلها الكثيرة حتى قال احد اساقفة الكنيسة الانكليزيَّة " انها مقيمة في قلوب شعبها "

واصيب ولي العهد بمرض عضال سنة ١٨٧١ فاهتمت الامة الانكليزيَّة كلها بمرضهِ اهتماماً شديداً كأن في كل بيت منها مريضاً . وكانت البرنسس تجلس بجانب سريرهِ نهارًا وليلاً تمرضهُ بنفسها . واشتدَّ عليهِ الداء وغاب عن الصواب ولم يعد يعي عَلَى شيء لكنهُ فتح عينيهِ ذات يوم وكان عيد ميلادها فقال " اليوم

عيد ميلاد البرنسس" ثم غاب عن الصواب ثانية فاظهر بهذه الكلمات الوجيزة ان اهتمامهُ بها لم يكن اقل من اهتمامها بهِ ولو تغلَّب عليهِ الداء حتى اخرجهُ عن دائرة الشعور

ومنَّ الله عليهِ بالشفاء فاجتمع الناس في الكنائس الوقَّا مؤلفة ليشكروا الله على ذلك وقد زادوا اكراماً لزوجتهِ على ما بدا منها من الحب لهُ والاهتمام بهِ

ولا يغرب عن الاذهان ان نصف نوع الانسان نساء وان للنساء في البلاد الانكليزيَّة وفي كل الممالك الاوربية شأناً لا يقلُّ عن شأن الرجال . فاولئك النساء ينظرن الى الملكة فكتوريا والى كنتها البرنسس الكسندرا كمثالي الكمال الواحدة في رفعة المقام ونفوذ الكلمة والثانية في حسن المنظر وجمال الطلعة والعطف على البائسين فهما قدوة النساء والمثال الذي يحاولنَ النسج على منوالهِ

وقد امتاز ولي العهد وزوجتهُ بحبهما لاولادهما وتعلُّقهما بهم واستصحابهما اياهم كلهم او بعضهم اينما ذهبا . وبناتهما الثلاث بارعات الجمال مثل امهما كما ترى في الصورة التالية على الوجه التالي ومحبات للبر والاحسان مثلها

ولا ينشأ مقام خيري او عمومي في البلاد الانكليزيَّة الاَّ ويشترك البرنس او زوجتهُ في وضع حجر زاويتهِ وكثيراً ما يشترك في اظهار فضل الفضلاء وتعظيم مقام العلماء كما يشارك امهُ في استعراض الجيوش والاساطيل . وقد وصفتهُ احدى الجرائد الاميركية قائلةً اكثر الناس شغلاً في البلاد الانكليزيَّة لانهُ من حين وفاة ابيهِ الى الآن وهو يقوم باعمال ابيهِ في كل الاحتفالات الرسمية وبجانب كبير من اعمال امهِ . وقد استعدَّ لذلك بالدرس في مدرسة اكسفرد وكمبردج ثم ساح في اوربا واميركا واسيا وافريقيَّة ورأس دار العلم الاميراطوريَّة واشترك في كل الاعمال النافعة . وهو مشهور بطلاقة الوجه وحسن المحاضرة والصيد والقنص

وكل من يأتي به رجال الانكليز ولا يظهر اهتمامه بشؤون السلطة الانكليزية لان

ونستن تشرشل وبيده سيجار

لان مقاليدها في يد امه ولكن العارفين بحقائق الامور لا ينكرون عليه هذا الاهتمام

وسيأتي الكلام على بقية اولاد الملكة في الجزء التالي من المقتطف